ليـدي جريجُـوري

بـزُوغ القـمَـــر

الشخصيات

رقيب

شرطي إكس

شرطي بي

رجل رث الملابس

(منظر: جانب من مرفأ في مدينة ساحلية. بعض الأعمدة والسلاسل. برميل كبير. يدخل ثلاثة من رجال الشرطة. القمر يرسل أشعته.
رقيب أكبر سنًّا من الآخرين يعبر خشبة المسرح إلى اليمين وينظر تحت قدميه. الآخران يضعان قدرًا فخاريًّا ويبسطان رزمة من الإعلانات)

الشرطي بي: أظن أنه مكان مناسب لنضع فيه إعلانًا. (يشير إلى البرميل)

الشرطي إكس: من الأفضل أن تسأله (ينادي على الرقيب) هل سيكون ذلك مكانًا مناسبًا للإعلان؟

(لا إجابة)

الشرطي بي: هل سنضع إعلانًا على البرميل؟

(لا إجابة)

الرقيب: هناك درجات سُلم تؤدي إلى الماء. هذا مكان يجب أن يوضع في الاعتبار جيدًا. فلو كان قد نزل هنا، لكان أصدقاؤه قد جاءوا بقارب ليقابلوه. ربما يرسلونه إلى هنا من الخارج.

الشرطي بي: هل سيكون البرميل مكانًا مناسبًا لنضع إعلانًا؟

الرقيب: ربما. يمكنك أن تضعه هناك.

(يلصقون إعلانًا)

الرقيب (يقرأه): شعر أسود- عينان سوداوان، وجه أملس. الطول خمسة أقدام- ليس هناك الكثير من الأوصاف غير ذلك- من المؤسف أنه لم تسنح لي الفرصة لأراه قبل أن يهرب من السجن. يقولون إنه أعجوبة، لأنه هو مَن يضع الخطط المنظمة كلها. لا يوجد رجل آخر في أيرلندا قد هرب من السجن بالطريقة التي قام هو بها. من المؤكد أن لديه بعض الأصدقاء من السجانين.

الشرطي بي: مائة جنية مبلغ ضئيل لتعرضه الحكومة كمكافأة من أجله. يمكنك أن تتأكد أن أي شخص في القوة سيلقي القبض عليه سيحصل على ترقية.

الرقيب: سأراقب ذلك المكان بنفسي. لن أندهش مطلقًا إذا جاء من هذه الناحية. فربما يأتي متسللاً إلى الأمام هناك. (يشير إلى جانب من المرفأ) وربما يكون أصدقاؤه في انتظاره هناك (يشير إلى أسفل الدرجات) وإذا هرب، فستتضاءل فرصتنا في العثور عليه. ربما يكون مختبئًا تحت كومة من عشب البحر في قارب صيد، ولا أحد يمد يد المساعدة لرجل متزوج يحتاج إلى المكافأة.

الشرطي إكس: وإذا قتلناه، فلن يحيق بنا إلا العار من شعبنا، وربما من أقربائنا.

الرقيب: حسنًا، يجدر بنا أن نقوم بواجبنا في القوة. ألا تعتمد الأمة بأسرها علينا في تطبيق القانون وحفظ النظام؟ إنهم أولئك ـ مَن هم في القاع ـ مَن قد يعلو شأنهم، وأولئك ممن هم ذوُو شأن قد ينحدر بهم الحال. حتى ولو لم يكن من أجلنا. حسنًا. أسرعا، فلديكما أماكن عديدة لتضعا عليها إعلانات، وعندما تفرغان من ذلك عودا إلى هنا. يمكنكما أن تأخذا المصباح. لا تستغرقا وقتًا طويلاً. فالمكان موحش جدًا حيث لا شيء سوى القمر.

الشرطي بي: من المؤسف أننا لن نبقى معك. كان يجب أن تقوم السلطات بدعم المدينة بالكثير من قوات الشرطة، وكان يجب أن توفر حراسة كافية عليه في السجن وفي المحكمة أيضًا. حسنًا، حظًا طيبًا لكما.

(يخرجان)

الرقيب (يمشي إلى الأمام ويعود مرةً أخرى، أو مرتين، وينظر إلى إعلان): مائة جنيه، وترقية بالتأكيد. من المؤكد أن هناك الكثير من الأشياء لإنفاق مائة جنيه عليها. من المؤسف لرجل شريف ألا يكون له نصيب في ذلك.

(رجل رث الملابس يظهر من اليسار، يحاول أن يتسلل، فجأةً يستدير الرقيب)

الرقيب: إلى أين أنت ذاهب؟

الرجل: أنا مُغن شعبي فقير، أيها السيد. مهتم ببيع بعض من هذه (يمسك برزمة أغان) الأغاني للبحارة.

(يتقدم)

الرقيب: قف! ألم أقل لك أن تتوقف؟ لا يمكنك أن تتقدم هناك.

الرجل: أوه، حسنًا جدًّا. من العسير أن تكون فقيرًا. فالعالم بأسرة ضد الفقراء.

الرقيب: من أنت؟

الرجل: هل ستكون حكيمًا مثلي، إذا أخبرتك. لكن ليس لديَّ مانع. أنا جيمي ولش الأوحد، مُغن شعبي.

الرقيب: جيمي ولش؟ لا أعرف ذلك الاسم.

الرجل: أه، مؤكد سيعرفون ذلك الاسم جيدًا في إينيس. هل زرت إينيس من قبل، أيها الرقيب؟

الرقيب: ما الذي أتى بك إلى هنا؟

الرجل: مؤكد أنني أتيت إلى هنا من أجل الجلسات القضائية، ولديَّ ظن أنني سأجمع القليل من الشلنات هنا وهناك. لقد أتيت مع القضاة في قطار واحد.

الرقيب: حسنًا، إذا كنت قد أتيت إلى هذا الحد، فيمكنك أن تذهب إلى أبعدَ من ذلك. لأنك ستخرج من هنا.

الرجل: سأخرج، سأخرج ، سأمضي حيثما كنت متجهًا.

(يمشي نحو السلالم)

الرقيب: عُد من تلك السلالم، غير مسموح لأي شخص بأن ينزل هناك الليلة.

الرجل: سأجلس أعلى السلالم حتى أرى بشكل جيد بحارًا يشتري أغنية، أستطيع أن أشتري عشاءً بثمنها. إنهم يعودون في وقت متأخر إلى السفينة. رأيتهم كثيرًا في كورك يحملون بضائع عند المرفأ على عربات يجرونها.

الرقيب: تحرك، أقول لك. لن أسمح لأي أحد أن يتسكع عند المرفأ الليلة.

الرجل: حسنًا، سأغادر. إنهم الفقراء الذين يعانون شظف الحياة! ربما تروق لك أيها الرقيب واحدةٌ منها. ها هي صفحة. (يقلب واحدة) "القناعة والناي"ـ ليست غالية؟ "القناص والماعز"ـ لن تروق لك. "جوني هارت"ـ تلك أغنية جميلة.

الرقيب: هيا تحرك.

الرجل: آه، انتظر حتى تسمعها.

(يغني)

كانت هناك ابنة فلاح ثري تعيش بالقرب من مدينة روس.

كانت تغازل جنديًا جبليًا، اسمه جوني هارت.

تقول الأم لابنتها "سيصيبني الجنون"

إذا تزوجتِ ذلك الجندي الجبلي الذي

يرتدي حُلة جبلية مربعة.

الرقيب: إلى أين أنت ذاهب؟

الرجل: أمرتني أن أنصرف، وسأفعل.

الرقيب: لاتكن أحمق. لم أخبرك أن تذهب في ذلك الاتجاه. قلت لك أن تعود إلى المدينة.

الرجل: أعود إلى المدينة، هل الأمر هكذا؟

الرقيب (يمسكه من كتفه ويقوده أمامه): هنا، سأدلك على الطريق. فلترحل. لماذا تتوقف؟

الرجل (الذى كان يحدق في لافتة يشير إليها): أظن أنني أعرف ماذا تنتظر أيها الرقيب.

الرقيب: ماذا أنتظر برأيك؟

الرجل: وأعرف جيدًا الرجل الذي تنتظره- أعرفه جيدًا- سأذهب.

(يجر قدميه)

الرقيب: تعرفه؟ عد إلى هنا. ما شكله؟

الرجل: هل تريد مني أن أعود أيها الرقيب؟ هل تريدني أن أقتل؟

الرقيب: لماذا تقول ذلك؟

الرجل: لا عليك. أنا راحل. لن أموت مقتولاً تحت قدميك، حتى لو تضاعفت المكافأة عشر مرات (يخرج من المسرح من ناحية اليسار) حتى لو تضاعفت عشر مرات.

الرقيب (يندفع خلفه): عُد إلى هنا. عُد. (يسحبه) ما شكله؟ أين رأيته؟

الرجل: رأيته في موطني، في كونتي كلير. أقول لك إنك لن تحتمل أن تنظر إليه. ستخشى أن تتواجد معه في مكان واحد. لا يوجد سلاح لم يستخدمه بعد، وبالنسبة للقوة، فعضلاته قوية مثل حافة السفينة.

(يطرق على البرميل)

الرقيب: أهو خطير إلى هذا الحد؟

الرجل: سيكون كذلك، حينئذ.

الرقيب: هل تؤكد كلامك؟

الرجل: كان هناك رجل فقير في حينا، رقيب من بالي فون- وقد كان هناك حجر كبير، فحركه.

الرقيب: لم أسمع بذلك.

الرجـل: ولـن تـسمع أيهـا الرقيـب. فلـيس كـل مـا يحـدث تكتـب عنـه الـصحف. وكـان هنـاك شـرطي يرتـدى ملابـس مدنيـة أيضًا.. كـان موجودًا في ليميريك.. كان ذلك بعد وقت الهتاف ضد الشرطة بالهتـاف في كلمـالوك.. في ضـوء القمـر.. مثـل الليلـة بالـضبط.. بجانب الماء.. لا شيء مما ذُكر يمكن أن يكون الحقيقة بعينها.

الرقيب: هل تقول ذلك؟ إنه وطن مريع ذلك الذي تنتمي له.

الرجـل: هـو كـذلك حقًّا! يمكنـك أن تكـون واقفًـا هنـاك تراقـب الطريـق. تظـن أنـك رأيتـه يـأتي عنـد جانـب المرفـأ (يـشير)، وربمـا يـأتي مـن الجانب الآخر (يشير)، وربما يصرعك قبل أن تعرف أين كنت.

الرقيب: كان يجب أن يحشدوا قوة الشرطة كلها للقبض على رجل مثله.

الرجل: لكن إذا أردتني أن أشارك في عملية القبض عليه، فسأراقب هذا الجانب. سأكون واقفًا على ذلك البرميل.

الرقيب: وأنت تعرفه جيدًا أيضًا؟

الرجل: أستطيع أن أتعرف عليه على بُعد ميل، أيها الرقيب.

الرقيب: لكنك لا تبغى أن يشاركك أحد في المكافأة؟

الرجـل: رجـلٌ فقـير مثلـي كُتـب عليـه أن يـسير في الطـرق، ويغـني في الأسـواق. فهـل يُذكـر اسمـه بأنـه أخـذ المكافـأة؟ لكنـك لا تريـدني. سأكون بمأمن في المدينة.

الرقيب: حسنًا، يمكنك أن تتوقف.

الرجل (يعتلي البرميل): حسنًا، أيها الرقيب، أظن الآن أنك لن يجهدك أن تجوب المكان ذهابًا وإيابًا.

الرقيب: لو تعبت، فقد تعودت على ذلك.

الرجل: من المؤكد أنه ينتظرك عمل مضن الليلة. خُذ الأمر بيسر. هناك متسع من المكان فوق البرميل، ويمكنك أن ترى أبعد عندما تقف على مكان أعلى.

الرقيب: يمكنني ذلك (يقفز بجواره فوق البرميل، يتجه إلى اليمين. يجلسان متعاكسين. ينظران في اتجاهين مختلفين) تجعلني أشعر بأنني غريبٌ إلى حدٍّ ما بالطريقة التي تحدثت بها.

الرجل: اعطني عود ثقاب، أيها الرقيب. (يعطيه ويشعل الرجل الغليون) هل تأخذ نفَسًا؟ سيهدئك. انتظر حتى أعطيك. لكن لا داع لأن تستدير. لا تبعد عينيك عن المرفأ لأنه حياتك.

الرقيب: لا تخف، لن يرمش جفناي (يشعل غليونًا، يدخنان) حقًا، من العسير أن تكون في القوة في عمل ليلي، ولا تتلقى شكرًا على ما تقوم به، بسبب كل المخاطر التي تجابهك. ونحصل على القليل، لكننا نلقى الإهانه من الناس. وليس لدينا خيار إلا أن نطيع الأوامر. ولا يُسأل رجلٌ ما - إذا ما أُرسل في حضن الخطر - ما إذا كان رجلاً متزوجًا ويعول أسرة.

الرجل (يغنى):

وخلال التلال مشيتُ حتى أرى منظرها،
وقفتُ لحظةً حيث تبتسم الطبيعة لمناظر الصخور والجداول
في السوق حدقتُ بعينيَّ تحت وادٍ خصيب
عندما غنت أغنيتها عن خطايا فقراء جرانيوال القديمة.

الرقيب: كفى، ليست هناك أغنيات تُغنى في تلك الأوقات.

الرجل: أه، أيها الرقيب. فقط كنت أغني لأستمد الهدوء لقلبي. فقلبي يهبط في قاع جسدي عندما أتخيله. أن أتخيل كلينا جالسين هنا وهو يتسلل نحو المرفأ، وربما لينال من كلينا.

الرقيب: أما تزال تراقب بدقة؟

الرجل: نعم، ولا أنتظر مكافأة أيضًا. هل أنا رجل أحمق؟ لكن عندما أرى رجلاً في ورطة، فلا يسعني إلا أن أحاول أن أخرجه منها. ما هذا؟ هل أصابتني لوثة عقليه؟

الرقيب (يربت على كتفيه): ستأخذ مكافأتك في الجنة.

الرجل: أعرف ذلك، أعرف ذلك أيها الرقيب، لكن الحياة ثمينة.

الرقيب: حسنًا، يمكنك أن تغني إذا كان ذلك سيمدك بالشجاعة.

الرجل (يغني):

رأسها كانت مكشوفة، ويداها كانتا مصفدتين بالحديد
تفكيرها مجهَدٌ ونحيبها حزينٌ اختلط بعاصفة الليل
والأغنية التي غنتها مع الهواء الحزين. أنا جرانيوال الهرم
شفتاها رائعتان جدًّا فقبَّلها ذلك الملك.

الرقيب: ليست هكذا..."الفستان الذي ارتدته كان ملطخًا بالدم".. هكذا هي- لقد فاتك ذلك السطر.

الرجل: أنت على حق أيها الرقيب، إذن هي كذلك، لقد نسيته (يعيد السطر) لكني لم أظن أن رجلاً مثلك يعرف أغنية مثل تلك الأغنية.

الرقيب: هناك أشياء كثيرة يتوجب على الإنسان أن يعرفها، دون أن يرغب في ذلك.

الرجل: الآن، هل أجرؤ على القول- أيها الرقيب- إنك قد اعتدتَ في شبابك على أن تقف على حائط، بنفس الطريقة التي تقف بها على البرميل، والزملاء بجوارك وأنت تغني جرانوال؟

الرقيب: غنيتها حينها.

الرجل: وغنيت شان بين بوشت؟

الرقيب: غنيتها.

الرجل: والخليج الأخضر.

الرقيب: كانت واحدة منها.

الرجل: وربما كان الرجل الذي تراقبه الليلة قد اعتاد أن يقف على الحائط عندما كان شابًّا، وكان يغني تلك الأغنيات... إنه عالم غريب...

الرقيب: صه!... أظن أنني أرى شيئًا قادمًا..إنه مجرد كلب.

الرجل: أوليس عالمًا غريبًا؟... ربما كان صبيًّا من أحد الصبية الذين كنت تغني معهم- في ذلك الوقت- ستلقي القبض عليه اليوم أو غدًا، وترسله إلى قفص الاتهام.

الرقيب: ذلك حق.

الرجل: وربما ذات ليلة، بعدما كنت تغني، لو أن الصبية الآخرين قد أخبروك بخطة ما لديهم، خطة ليحرروا بها الوطن، فلربما كنت قد شاركتهم... وربما كنت الآن في ورطة.

الرقيب: حسنًا، مَن يدري، لو كنت موجودًا لربما شاركتهم؟ في تلك الأيام، كانت لديَّ روح عظيمة.

الرجل: إنه عالم غريب، أيها الرقيب. من النادر لأي أم أن تعرف- عندما ترى ابنها يزحف على الأرض- ماذا سيحدث له، عندما يخوض غمار الحياة، ومَن سيكون في النهاية.

الرقيب: إنها أفكار غريبة الآن. وفي نفس الوقت، أفكار حقيقية. انتظر الآن حتى أفكر. فلو لم ألتحق بالقوة في ذلك الوقت الذي التحقتُ بها فيه، من أجل الإحساس الكامن داخلي، ومن أجل زوجتي وعائلتي وأجلي، لكنت اشتركت. أتخيل نفسي الآن بعد الهروب من السجن، فأختبئ في جيوب الظلام، وربما كان هو مَن يختبئ تحت جنح الليل، يترصد لذلك الذي خرج من السجن، ويقف حيث أقف على البرميل.. وربما كنت أنا نفسي أتسلل محاولاً إيجاد طريق للهروب منه، وربما كان هو نفسه الذي يطبق القانون، وربما كنت أنا الذي أخرقه، وأنا الذي أحاول أن أطلق عليه رصاصة في رأسه، أو أرفع عليه حجرًا، كما قلت إنه فعل.. لا، فعلت أنا ذلك.. أوه! (يلهث، بعد صمت) ما هذا؟

(يمسك بذراع الرجل)

الرجل (يقفز من فوق البرميل ويسمع، ينظر إلى الماء): لا شيء، أيها الرقيب.

الرقيب: ظننت أنه قارب. عندي معلومات أنه سيأتي في قارب إلى المرفأ إلى أصدقائه.

الرجل: أيها الرقيب، أفكر في الناس الذين كنت تعيش معهم، وليس القانون الذي كنت تطبقه عندما كنت شابًا.

الرقيب: حسنًا، لو كنت أحمق حينها، فذلك الوقت ولّى.

الرجل: ربما، أيها الرقيب، يخطر ببالك أحيانًا أن من المحتمل أن تكون قد لاحقت جرانيوال.

الرقيب: ما أفكر فيه ليس من شأنك.

الرجل: ربما، أيها الرقيب. ستكون في صف الحكومة.

الرقيب (يهبط من فوق البرميل): لا تتحدث معي بتلك الطريقة. فلديَّ واجبات وأعرفها تمامًا (ينظر حوله) لقد كان قاربًا، أسمع المجاذيف.

(يخطو نحو السلالم وينظر)

الرجل (يغنى):

إذن، قُل لي، يا شون أوفاريل
أين سيكون اللقاء
في البقعة القديمة عند النهر
فهي معروفة لي ولك!

الرقيب: كفى! كفى! آمرك بأن تكف!

الرجل (يغنى بصوت أعلى):

كلمةٌ أخرى هي إشارة
صفارةُ لحن التحرك
ودراجتك فوق كتفيك
عند بزوغ القمر

الرقيب: إذا لم تكف عن ذلك فسألقي القبض عليك.

(صفير في الأسفل يجيب، يكرر الهواء الصفير)

الرقيب: إنها إشارة (يحول بينه وبين السلالم) لا يجدر بك أن تمر من ذلك الطريق... عُد للوراء... مَن أنت؟ أنت لست مغنيًا شعبيًا.

الرجل: لا داعٍ لأن تسأل مَن أنا، فذلك الإعلان سيخبرك.

(يشير إلى الإعلان)

الرقيب: أنت الرجل الذي أبحث عنه.

الرجل (يخلع قبعته والشعر المستعار. يمسكهم الرقيب): إنه أنا. هناك مائة جنيه فوق رأسي. وهناك صديق لي في الأسفل، في القارب. يعرف مكانًا آمنًا لأختبئ فيه.

الرقيب (لا يزال ينظر إلى القبعة والشعر المستعار): إنه لشيءٌ يُرثى له! إنه لشيءٌ يُرثى له. لقد خدعتني بشكل جيد.

الرجل: أنا صديق جرانيوال. وهناك مائة جنيه فوق رأسي.

الرقيب: شيءٌ يُرثى له، شيءٌ يُرثى له!

الرجل: هل ستدعني أمُر، أم سيكون عليَّ أن أرغمك على السماح لي بالمرور.

الرقيب: أنا فردٌ من أفراد القوة. لن أدعك تمر.

الرجل: تظن أنني سأقوم بذلك بلساني (يضع يده فوق صدره) ما هذا؟

(صوت الشرطي إكس في الخارج)

هنا، هذا هو المكان الذي تركناه فيه.

الرقيب: إنهما زميلاي قادمان.

الرجل: لن تخونني... صديق جرانيوال.

(ينزلق خلف البرميل)

صوت **الشرطي بي**: كان ذلك آخر الإعلانات.

الشرطي إكس (وهما قادمان): إذا تمكن من الهروب فلن يدركه أحد.

(يضع الرقيب القبعة والشعر المستعار خلف ظهره)

الشرطي بي: هل أتى شخصٌ ما من تلك الناحية؟

الرقيب (بعد صمت): لا أحد.

الشرطي بي: لا أحد على الإطلاق.

الرقيب: لا أحد على الإطلاق.

الشرطي بي: ليست لدينا أوامر بالعودة إلى القسم، يمكننا أن نراقب معك.

الرقيب: لا أريدكما. ليس لكما عمل هنا.

الشرطي بي: أمرتنا بأن نعود إلى هنا، ونستمر في المراقبة معك.

الرقيب: سأظل هنا وحدي. من المحتمل لأي رجل أن يأتي في ذلك الطريق، وأنتما تثرثران؟ فمن الأفضل أن يظل المكان هادئًا.

الشرطي بي: حسنًا، على أية حال سنترك لك المصباح.

(يسلمه له)

الرقيب: لا أريده، خذاه معكما.

الشرطي بي: ربما تحتاجه. هناك سحب تقتحم السماء وما يزال أمامك الليل بظلامه الحالك. سأتركه هنا فوق البرميل.

(يذهب إلى البرميل)

الرقيب: خذه معك، أنا آمرك، ليس هناك المزيد من الكلام.

الشرطي بي: حسنًا، ظننت أنه سيكون مفيدًا لك. أتخيل دائمًا عندما يكون في يدي وأنير به كل ركن مظلم (يطوف به) كأنني قابع بجوار المدفأة في البيت، وقِطع الخشب تشتعل بين حين وآخر.

(ينير به، الآن فوق البرميل، الآن فوق الرقيب)

الرقيب (بغضب): اغربا عن وجهي، كلاكما والمصباح!

(يخرجان، يظهر الرجل من خلف البرميل. هو والرقيب يقفان ويحدقان في بعضهما البعض)

الرقيب: ماذا تنتظر؟

الرجل: أنتظر قبعتي بالطبع وشعري المستعار. فلا يروق لك أن أموت من البرد؟

(يعطيه الرقيب أشياءه)

الرجل (يخطو نحو السلالم): حسنًا، طابت ليلتك أيها الرفيق، وشكرًا لك. لقد كنت سببًا في منعطف عظيم في حياتي هذه الليلة. وعطفك يطوق عنقي. ربما تدور عجلات الزمن وأرد جميلك عندما يبزغ النجم الصغير ويأفل النجم الكبير... عندما نبدل كلنا الأماكن عند بزوغ القمر (يلوح بيده ويختفي).

الرقيب (يدير ظهره للجمهور، ويقرأ إعلان): مكافأة مائة جنيه! مائة جنيه! (يستدير ناحية الجمهور) أتساءل الآن، هل أنا أحمق كبير، كما أظن؟